# ( ٧ )
# داخل مستشفى الولادة

يا لتدبير الأقدار! .. في مستشفى خاصة كبيرة مِن أرقى وأغلى المستشفيات تَحَدَّد موعد ولادة المرأتين ليكونا في توقيتين متقاربين كثيرا .. سيُجري الطبيب عملية الولادة أولا للخادمة وعد ، ثم ينتقل بعدها بساعاتٍ قليلة ليُجري عملية الولادة للمرأة الثرية أحلام المصري ، وبالطبع سيكون زوج صاحبة الفيلا المهندس معتصم موجودا ، في حين لن يحضر زوج خادمة الفيلا سالم الساعاتي ، لكن زوجته الثانية صباح سوف تحضر ، فقد أخبرتها وعد بخطتها لتبديل الطفلين ، وأملتْ عليها أكثر مِن مرة ما يجب عليها فعله بكل حذر ودقة ، ووعدتها بأموالٍ كثيرة نظير هذا الإجرام الخطير ، فوافقتها في كل شيء ، وستتواجد أيضا الغجرية ألطاف والدة وعد ، فحتما ستفيد خبرتها في الكثير ، وحتما قد أخبرتهما ابنتها الأثيرة وعد عن قصة حملها مِن الرجل الثري .

أما كيف وافقتْ صباح الخادمة وعد في كل شيء؟ ، فهذا يعود إلى دهاء وعد وأثواب صباح الملوثة بالخيانة لسالم كوعد تماما ، وإنَّ هذه الأمور الشيطانية عند وعد وصباح هي أمور عادية ، فالشر الذي تجذرتْ جذوره في أرض بعض البشر كهؤلاء الغجر قد فاق كل حد ، ولا ينبت غرس خير ويطول ويثمر ، إلا وينمو بجواره غروس مِن الشر الدفينة تبغي أنْ تثمر شرا أكثر ، لكن يشاء الله القدير الحكيم أنْ يجعل غراس الخير بالنهاية تغطي بظلالها كل شر .

كانت الماكرة وعد قد اختارت اللحظة المناسبة التي تخبر صباح بشكوكها حولها لتضغط عليها حتى تشاركها بتدبيرها الإجرامي ، وأنْ تُبقِي الأمر سرا ، فقالت لها لتجبرها على أنْ تساعدها :

- ابنتك زهرة يا صباح .. أنا أعرف أنها ليست بنت زوجنا سالم

وفوجئتْ صباح بكلام وعد فسارعت تقول :

- اخرسي .. ماذا تقولين؟
- أقول الحقيقة
- ومَن أدراك أنها الحقيقة؟
- صباح .. أنا أعرف كل شيء فلا تُنكري
- أنتِ لا تعرفين أي شيء
- بل أنا أعرف ما لا يخطر على بالك .. الطب تقدَّم يا صباح .. ويمكن لسالم الآن عمل فحوص وتحاليل بسيطة .. ليعرف إنْ كانت زهرة ابنته أم ابنة رجل آخر
- هو حر.. فليذهب ويفعل ما يشاء
- إنْ فعل سيعرف أنه لا ينجب .. ستكون مصيبة عليكِ وعليَّ

وصمتتْ قليلا ، وصمتت صباح أيضا وهي تفكر في جملتها الأخيرة وتنظر إلى بطن وعد ، فقالت وعد :

- علام تنظرين؟ .. سالم لا يُنجِب يا صباح وأظنك متأكدة مِن ذلك

فضحكتْ صباح كثيرا وأشارت على بطن وعد وقالت :

- والله كنتُ أشعر بأنَّ مَن نفخك هكذا ليس سالم
- أجل ليس سالم
- مَن إذن يا وعد؟

- رجل غني جدا

قالتها هكذا بكل بساطة وجرأة جعلتْ صباح تصارحها هي أيضا بالحقيقة ، فأخبرتها أنَّ زهرة فعلا ليست ابنة سالم ، إنما كانت مجرد غلطة مع عشيق لها ذهب لحال سبيله ، فقالت وعد :

- لا يهمني إنْ كان ذهب لسبيله أم ما زال يعاشرك .. لكن ما يهمني فعلا هو شيء أهم مِن ذلك بكثيروأريدكِ أنْ تساعديني فيه

وسكتتْ صباح قليلا ثم قالت بكل حماسة :

- أنا تحت أمرك يا وعد .. أنا معكِ .. لكن احكِ لي بالتفصيل كل شيء

وحكتْ الغجرية وعد للغجرية صباح القصة كاملة ، وتماما كما حكتها لأمها ، حتى كان يوم الولادة راحت تعيد وتكرر عليهما الحذروالدقة حتى تتمَّ جريمة تبديل الطفلين في سلام .

ودخلتْ الخادمة وعد حجرة العمليات ، وخيَّرها الطبيب بين البنج الكلي أو البنج النصفي ، فاختارت البنج النصفي لتكون واعية لما يدور حولها بحيث لا تدع شيئا للصدفة .

وأجرى الطبيب عملية الولادة لها ، ورأت بعينيها ابنها .. كان طفلا جميلا .. تناولته مِن الممرضة فنظرتْ له قليلا ، ثم أعادته لها دون أنْ تقبله ليوضع في الحضَّانة ، وأمها بجوارها تنظر لها ، وتطمئنها بنظراتها ألا تقلق ، فكل شيء سيمضي كما خطَّطْنَ له .

وتمَّ نقل الخادمة وعد مِن حجرة العمليات إلى حجرة أخرى لتتعافى فيها .. كانت حجرة غاية في النظافة والترتيب .. جاءوا لها بأفخم أنواع الطعام والشراب والدواء .. همستْ وعد لأمها :

- أنا قلقة

فربتتْ ألطاف على كتفها وقالت :

- لا تقلقي

وفجأة دخلتْ إحدى الممرضات والخوف يغطي وجهها وكلماتها .. قالت في ذعر :

- الولد .. الولد

سألتها وعد سريعا في قلق :

- ماذا حدث؟ .. ماذا تقصدين؟

قالت الممرضة :

- ابنك .. إنه غير موجود في الحضَّانة

فتبادلتْ وعد وأمها ألطاف النظرات ، وتظاهرا بالقلق والغضب الشديديْن ، وراحت الأم ألطاف تصرخ وتلطم خديها ، وتروح وتجيء في الحجرة وخارجها في الممر ، وراحت وعد أيضا تصرخ وتبكي وهي تقول :

- ابني .. أين ابني؟ .. سأحبسكم جميعا

واستمرتْ الأم ألطاف فى الصراخ قائلة :

- حبيبتي يا بنتي .. خطفوا ابنك منك .. حرموكِ حتى مِن حضنه .. أكيد صباح بنت الحرام وراء ذلك .. مَن غيرها قد يفعلها؟

وسادت حالة مِن الاضطراب في المستشفى في نفس الوقت الذي كانت حجرة عمليات الولادة تُهيَّأ مِن أجل مهندسة الديكور أحلام ، ولحظ زوجها المهندس معتصم شرف الدين هذا الاضطراب ، فسأل ولم يصل لشيء ، فقد تعمدتْ إدارة المستشفى أنْ يبقى أمر اختطاف الطفل الوليد سرا حفاظا على سمعتها ، كما حرصتْ وعد وأمها ألطاف ألا يثيرا قلقا كثيرا ، فتوقفا عن الصراخ حتى ينتهي هذا

الأمر سريعا دون تعقيدات أو مفاجآت ، ولجأتا إلى الهدوء والتركيز في إكمال جريمتهم الشيطانية .

وكانت مدام أحلام في غرفتها تستعد لدخول حجرة العمليات ، يجلس بجانبها زوجها المهندس معتصم ممسكا بيديها يطمئنها .. نظرتْ له وقالت :

- أخيرا يا معتصم سأرى ابني .. أخيرا سأحمله بين يدي وأقبله وأحتضنه

ابتسم لها زوجها وقال :

- الحمد لله يا حبيبتي .. أنتِ طيبة وتستحقين كل خير

وضغطتْ على يد زوجها وقالت :

- معتصم .. بعد نزول الطفل لا بد أنْ تكون موجودا .. احذر أنْ يقع خطأ .. أخاف أنْ يسجلوا طفلا آخر باسمنا كما يحدث في الروايات والمسلسلات .. هذا الأمر يقلقني جدا

وضحك المهندس معتصم وقال لها :

- يا حبيبتي لا تقلقي .. ودَعْكِ مِن هذه الحكايات الخرافية .. هذه مستشفى كبيرة لا يقع فيها مثل هذه الأخطاء .. ابعدي هذه الأوهام عن تفكيرك

- ربنا يستر يا معتصم

ودخلتْ مدام أحلام حجرة العمليات ، وكان المهندس معتصم يقف خارجها قلقا ، وبجواره تقف أخته نرمين وأخوه مدحت .. جاءا متأخريْن ، ووقفا على ظاهرهما يدعوان لزوجة أخيهما بكل خير ، لكنهما كانا في الحقيقة الخفية يتمنيان كل شر خاصة للطفل الذي ستأتي به ليرث عنهما كل شيء .

ولمح المهندس معتصم مِن بعيد امرأةً متجهةً ناحيته بسرعة تنادي باسمه .. كانت ألطاف أم خادمته وعد ، ولم يكن قد رآها مِن قبل .. قالت له وقد دخلتْ في بكاءٍ مصنوعٍ :

- وعد تريدك يا سعادة البيه

نظر إليها باستغرابٍ شديدٍ ، وقال لها :

- مَن أنتِ؟
- أنا أمها
- ماذا تريد وعد؟
- لم تخبرني بشيء
- لكني مشغول الآن
- دقيقة واحدة فقط
- قلتُ أنا مشغول

قالها في غضبٍ ظاهرٍ، فطلب منه أخوه مدحت أن يذهب ولا يقلق على زوجته ، فذهب على مضضٍ ، فقالت نرمين :

- ماذا يحدث؟

ضحك مدحت وقال :

- عرفتُ أنَّ خادمته ولدتْ في نفس المستشفى

فقالت نرمين غاضبة :

- ما شاء الله .. مِن المؤكد أنها ولدتْ على حسابه .. أمواله كثيرة
- ألن تتوقفي يا نرمين عن الطمع في أموال معتصم؟ .. زوجك ليس فقيرا .. ومعتصم تغرَّب في بلاد الله وتعب كثيرا حتى جمع هذا المال .

نظرتْ له نرمين وقالت بغضبٍ أكثر:

- قلْ هذا الكلام لنفسك .. فأنتَ أكثر مني طمعا فيه

ودخل المهندس معتصم إلى حجرة وعد ، فانخرطتْ منذ رأته في البكاء ، وتركتهما أمها وحدهما وخرجتْ .. جلس بجوارها على سريرها ، وأسرع قائلا لها :

- هل تعرف أمكِ شيئا؟

قالت كاذبة :

- لا

فنظر بجانبها ، فلم يجد الطفل ، فقال لها :

- لماذا تبكين؟ .. ماذا حدث؟ .. وأين الطفل؟ .. هل هو في الحضَّانة؟

فقالت له بتوجعٍ مصطنعٍ وحسرةٍ مفتعلةٍ :

- ألا تعرف؟

- ماذا أعرف؟

- خطفوا ابني

فأصابته دهشة وذهول أعقبهما ارتياحٌ خفي ، وقد فهم سبب الاضطراب والتوتر الذي ساد المستشفى ، فقال لها متظاهرا بأنه قد تأثر بسبب خطف الطفل :

- كيف؟ .. إنها مستشفى كبيرة .. كيف يحدث ذلك فيها؟

- حبيبي يا بني

- مؤكد هناك أحد يعرفكِ فعل ذلك .. هل تشكين في أحد؟

- نعم .. أشك في صباح

- مَن صباح؟

- زوجة زوجي
- ولماذا تفعل ذلك؟
- الغيرة قتلتها منذ علمتْ أني حامل في ولد .. مَن غيرها يفعلها؟
- معقولة! .. ماذا تظنُّ هي؟
- تظن أنها ستحرق قلبي على ابني
- كيف؟.. البلد فيها قانون .. يجب أنْ تحبسها
- طبعا سوف أحبس هذه المجرمة .. لكن لا تقلق أنتَ على ابننا .. سيعود

ونظر لها في اندهاش وقال بسخرية شديدة :

- ابننا!
- نعم ابننا .. هل ستبدأ في الإنكار؟

ورأى المهندس معتصم أنه مِن الأفضل له أن ينهض ويتركها ، فأسرعتْ وعد وخفضتْ مِن صوت بكائها ، وسألته عن زوجته مدام أحلام ، فأخبرها أنها على وشك أنْ تنتهي مِن الولادة ، ونهض مِن مكانه فأمسكتْ بيده ، وتظاهرتْ بأنها تشعر بألمٍ شديد ودوار ، وراحت توصيه إنْ ماتت أنْ يبحث عن صباح ، ويستعيد طفلهما منها ، ويربيه في بيته كأخيه الآخر مِن أحلام ، والمهندس معتصم لا يعرف ماذا يفعل أو كيف يتصرف ليتركها ويذهب سريعا ليطمئن على زوجته ويرى طفله منها ، حيث لم تترك له تلك الشيطانة الغجرية فرصة لأن يتركها إلا عندما أرادت .

شيطانةٌ خُلِقتْ مِن شر ومكر ودهاء ، لا تكلُّ ولا تملُّ عن أنْ تصل لهدفها ، وأنْ تُنهى جريمتها كاملة .. كان كل حرصها على ألا يرى المهندس معتصم طفله مِن أحلام ، فهي تخاف أنْ يحفظ شكله ، ولا شك الآن أنَّ الممرضات سيضعون طفل أحلام في الحضَّانة ، وهنا يأتي دور أمها ألطاف ، ستأخذ الطفل مِن صباح التي شعرتْ

بالندم فأعادته ، وبالطبع ستضع ألطاف طفل أحلام في الحضَّانة على أنه طفل وعد الذي أعادته اللصة صباح ، وتضع طفل وعد في حضَّانة أخرى على أنه طفل أحلام ، وكل ذلك يحدث مع تبديل سوار اسم كل مولود واسم أمه بالآخر .. لكن لماذا الخطف؟

الخطف كان ضروريا حتى لا يُسْمَح للممرضات برؤية طفل وعد وحفظ شكله قبل تبديل السوار، ولكن قد تُسْجَن صباح لخطفها الطفل ، لا يهم أنْ تُسْجَن يوما أو يومين ، فقد ندمتْ وعادت ، وهذا سيجعل عفو وعد عنها شيئا طبيعيا مقبولا .

هكذا كانت هي بقايا الخطة المرسومة ، لكن هناك نرمين أخت المهندس معتصم وهناك مدحت أخوه ، لقد ظلا واقفيْن أمام حجرة العمليات ، لا شك أنهما سيريان طفل أخيهما مِن أحلام بينما تخرج به الممرضة ، فماذا لو كانا مِمَن يتسمون بقوة الملاحظة فيحفظا شكله؟ .. تلك حقا كانت المفاجأة التي لم تكن في حسابات وعد .. لكنها والله محظوظة ، إذ لم يطيقا البقاء واقفيْن ليريا الطفل الوليد الذي سيرث الأملاك ويحرمهما ، فذهبا فور ذهاب معتصم لوعد لاحتساء فنجاني قهوة ، ومرَّ الأمر بسلام .

حقا والله ، ما أخطر أمر الحضَّانات بعد الولادة ! إنه شيءٌ مثيرٌ للقلق ، فمن السهل في عيادات ولادة النساء اختلاط المواليد الجديدة ، ومِن الوارد وقوع الأخطاء دون تعمد .. قد تسهو ممرضة فتضع اسما لمولود آخر غير المقصود بالخطأ ، كما أنَّ بعض الممرضات في ذلك لا يُلزمهن شيء أو يحكمهن ضمير، ومِن الجرائم الميسورة أنْ يتم تبديل المواليد دون أنْ ينتبه أحد كما دبَّرتْ الماكرة وعد ونفَّذتْ المجرمتان صباح وألطاف .. إنه أمرٌ خطير يُرعِب كثيرين ، لذلك فما أفضل الزمن

القديم في كثيرٍ خاصة عندما كانت النساء تلد في حجرة نومهن بعيدا عن احتمالية هذه الأمور الخطيرة المضيعة للأنساب والأموال والمشاعر!

وها هي مدام أحلام الثرية قد خرجتْ مِن المستشفى بطفل الخادمة الغجرية وعد والفرحة تغمرها ، وبجوارها زوجها الثري المهندس معتصم ، وها هي أيضا الخادمة وعد قد خرجتْ مِن المستشفى بطفل مدام أحلام الثرية والفرحة تغمرها .. حدثتْ تلك الجريمة المؤلمة لينشأ ابنُ الخادمة وينمو ويكبر في حضن القصور والنعيم ، وينشأ ابنُ القصور والنعيم في حضن خادمة غجرية عاهرة شيطانة ، لا يقف أمام طموحها وشرها عائق ، ولن يقف ، وكأنها خرجتْ للتو مِن جهنم لتنتقم مِن كل البشر.

ياسين سالم السعدي .. ياسين هو الاسم الذي سُجّل به ابن المهندسة الثرية أحلام ، وسالم هو اسم الأب على غير الحقيقة الذي نُسِبَ له ياسين ابن القصور .

بدر معتصم شرف الدين .. بدر هو الاسم الذي سُجّل به ابن الخادمة وعد ، وقد نُسِبَ فعلا لأبيه الحقيقي المهندس معتصم ، وإنْ كان ابن حرام مِن الخادمة وعد ، تلك العاهرة .

أما عن التحاليل التي ذكرها المهندس معتصم لوعد للتأكد مِن أبوته لابنها ، فقد حاول الرجل أنْ يتملَّص منها ومِن وعوده السابقة لها أكثر مِن مرة ، ولكن لم تمنحه الخادمة وعد فرصة لذلك .. هددته بأنْ تخبر زوجته أحلام إنْ لم يفعل ، بل وتخبر أخاه وأخته ومعارفه والناس أجمعين .. قالت له :

- الولد يشبهك تماما .. كل مَن سيراه سيعرف أنه ابنك ويفتضح أمرك وتتحطم حياتك .. لكن بالنسبة لي فأنا مجرد خادمة .. وكل ما سيصيبنى أنْ يطلقني زوجي سالم .. وهذا ما أريده

- أنتِ شيطانة يا وعد
- أنا أعرف أني شيطانة .. فكُنْ أنتَ الملاك وحقق وعودك لي
- اتفقنا .. سنبدأ في عمل التحاليل

وأُجْرِيَتْ التحاليل أكثر مِن مرة عند أكثر مِن طبيب يثق بهم المهندس معتصم .. أثبتتْ جميعها أنَّ الطفل ياسين ابنه ومِن صلبه ، وحتما لا بد أنْ يكون ابنه ، هذا بسبب التبديل الإجرامي ، وليس فقط لأنَّ المهندسة أحلام سيدة مخلصة له بنت أصول لا تخون ، وبالطبع فإنَّ بدرهو أيضا ابنه لا ابن سالم ، وذلك لأنه كان يشبهه كثيرا كما يشبهه ياسين إلى درجة كبيرة تقطع أية شكوك .

وطلب المهندس معتصم مِن الخادمة وعد أنْ تقابله مساء يومٍ ما في مكان ما خارج الفيلا ، فذهبتْ ومعها ياسين ، وكان الرجل ينتظرها في سيارته دون سائقه مسعود ، فركبتْ بجواره وياسين على يديها وألقى الرجل نظرة على طفله دون أنْ يبتسم له أو حتى يقبله ، فقالت له :

- إنه ابنك ياسين .. كيف لا تحمله وتقبله وتلاعبه؟

فقال معتصم غاضبا :

- دعكِ مِن هذا الكلام .. لقد رتبتُ لابنكِ كل شيء .
- إذن هيا أخبرني ماذا رتبتَ؟
- سوف أحوّل في البنك أموالا غدا باسمه تغنيه طوال حياته .. فوائدها فقط تجعله يعيش غنيا .. وسأعطيكِ مبلغا تشترين به شقة باسمه ليتزوج بها عندما يكبر
- وأنا .. ماذا ستكتب لي؟
- وما دخلي بكِ؟

- أنا أم ابنك التي أتتْ به .. أم أنكَ كنتَ تعاشر بقرة!

- ستأخذين أنتِ أيضا فوق ما تتوقعين .. وبعدها عليكِ أنْ تختفي مِن حياتي للأبد

- أنا موافقة .. لكن متى تفعل ذلك؟

- قلتُ غدا .. فانتظريني صباحا في نفس المكان

ونفَّذ معتصم ما وعد به مع التأكيد عليها ألا تعود إلى فيلته أو تخرج أمامه في طريقٍ يسلكه ، فقالت له :

- وماذا إنْ سألتْ عني مدام أحلام؟

- سأخبرها أنكِ قررتِ أنْ تتركي العمل لتتفرغي لتربية ابنك

- لكني سأظل أعمل

- أنتِ حرة .. فقط سأقول لها ذلك وينتهي الأمر.. هل تظنين أنها ستراكِ بعد ذلك؟

قالها معتصم بغضبٍ ، فقالت وعد الغجرية وهي تبتسم بكل ثقة :

- ربما